***Dirasat*: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 9, 2026, 10613**

Deanship of Scientific Research

The Alienation of the Ego in the Poem "*Banat Su'ad*" by Ka'b bin Zuhayr

Raaeda Mahmoud Akhozeia*

Department of Arabic Language, Faculty of Arts, The Hashemite University, Zarqa City, Hashemite Kingdom of Jordan.

Received: 16/2/2025
Revised: 24/2/2025
Accepted: 9/3/2025
Published online: 1/4/2026

* *Corresponding author:*
akuzhiar@gmail.com

Citation: Akhozeia, R. M. (2026). The Alienation of the Ego in the Poem "Banat Su'ad" by Ka'b bin Zuhayr. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(9), 10613. https://doi.org/10.35516/Hum.2026.10613

Abstract

Objectives: This study aimed to offer a new reading of the poem *Banat Su'ad* by Ka'b bin Zuhayr, focusing on the strategy of alienation employed by the poet to achieve his goal which lies in persuading the Prophet Muhammad (peace be upon him) to pardon him.

Method: The research adopts a descriptive-analytical approach by examining the poem *Banat Su'ad*, written by Ka'b as an apology and plea for mercy. The poem was analyzed artistically to reveal the poet's ability to employ the strategy of alienation to achieve his goal.

Results: The study results showed that the poet successfully employed the strategy of alienation to achieve his goal. He managed to emotionally and intellectually become appealing to the Prophet Muhammad (peace be upon him), resulting in the Prophet's forgiveness and gifting his cloak to the poet.

Conclusion: The study reveals the notion that Ka'b bin Zuhayr strenuously sought to sound appealing to the Prophet Muhammad (peace be upon him) and declare his repentance by emphasizing the concept of alienation. Through this, he demonstrated his helplessness and weakness recognizing the power of the other to dominate him. Using this strategy, he transformed the ego from an alienated, weak self into an powerful self capable of influencing the other, whom he had initially dominated and deprived of strength, safety, and stability.

Keywords: Alienation, Ego, Other, Plea for mercy.

استلاب الأنا في قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير

رائدة محمود أخوزهية*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، المدينة الزرقاء، الدولة المملكة الأردنية الهاشمية.

ملخّص

الأهداف: سعت الدراسة إلى تقديم قراءة جديدة لقصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، من خلال التركيز على استراتيجية الاستلاب التي وظفها كعب بن زهير لتحقيق غايته، وإقناع الرسول ﷺ بالعفو عنه.

المنهجية: يقوم البحث على المنهج الوصفي التحليلي، بالوقوف على قصيدة (بانت سعاد) التي كتبها كعب معتذرًا مستعطفًا، ودراستها تطبيقيًا بتحليلها تحليلًا فنيًا؛ للكشف عن مدى قدرة الشاعر في توظيف استراتيجية الاستلاب للوصول إلى غايته.

النتائج: توصل البحث إلى نتائج من أهمها: استطاع الشاعر من خلال توظيف استراتيجية الاستلاب أن يحقق غايته، ويستميل الرسول ﷺ عاطفيًا وعقليًا، وتحقق ذلك بعفو الرسول ﷺ عنه، وإعطائه بردته.

الخلاصة: حاول كعب بن زهير أن يستميل الرسول ﷺ ويعلن توبته من خلال التركيز على فكرة الاستلاب التي أظهر من خلالها عجزه وضعفه، وقدرة الآخر على السيطرة عليه، واستطاع بهذه الاستراتيجية أن يحول الأنا من أنا مستلَبة ضعيفة إلى أنا مستلِبة قادرة على التأثير في الآخر بعد أن كان الآخر مسيطرًا عليها، وسالبًا قوتها وأمانها واستقرارها.

الكلمات الدالة: الاستلاب، الأنا، الآخر، الاستعطاف.

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

المقدمة

عني القدماء والمحدثون بقصيدة (بانت سعاد) التي شهرت بـ (البردة)، فشرحها بعضهم، وقدم آخرون قراءات متنوعة فيها وفقًا لرؤى ومناهج مختلفة، ولما كان النص الأدبي نصًا حيًا، يقبل قراءات جديدة دائمًا، ارتأت الباحثة أن تقدم قراءة جديدة لقصيدة (بانت سعاد) تسلط فيها الضوء على جانب لم يتطرق له الدارسون قبل، وتأتي هذه القراءة الجديدة لتتمم ما سبقها من قراءات.

تعرض كعب بن زهير وغيره من شعراء قريش للرسول ﷺ وصحابته في بداية الدعوة الإسلامية في مكة، فغضب الرسول ﷺ لذلك، وأهدر دم أولئك الشعراء الذين استطاع بعضهم الفرار، لكن كعبًا لم يستطع، مما حمله على طلب الإجارة من القبيلة وأصدقائه، لكن أحدًا لم يجبه اتباعًا لأوامر الرسول ﷺ الذي أصبح يمثل السلطة الدينية الجديدة. وكانت النتيجة الطبيعية لتمرد كعب، ودخول قبيلته مزينة الإسلام، أن نقضت القبيلة عقدها الاجتماعي الجاهلي معه؛ فشعر بحالة من الاستلاب والعجز أفقدته توازنه الاجتماعي والنفسي، ولم يجد أمامه إلا أن يذهب للرسول ﷺ معتذرًا مستعطفًا. وكان عليه ليحقق غايته أن يتوسل باستراتيجية تمكنه من إثارة شفقة الرسول ﷺ، واستمالة عاطفته وقلبه؛ فنظم قصيدته (بانت سعاد) محاولًا من خلال التركيز على استراتيجية الاستلاب، وتصوير حالة العجز والضعف التي صار إليها نتيجة لاستلاب الآخر.

وجاءت هذه الدراسة؛ للكشف عن استراتيجية الاستلاب التي اتخذها كعب أداة فنية، تعكس عجزه وضعفه أمام الآخر الذي يمتلك القدرة على استلابه بفعل سلطة دينية أو اجتماعية. وتحاول هذه الدراسة الإجابة على تساؤلات عدة، منها:

1.ما المقصود بالاستلاب في القصيدة؟

2.لماذا استخدم الشاعر استراتيجية الاستلاب؟

3.هل ظهر الاستلاب على مستوى اللفظ أو المضمون؟

4.كيف ظهر الاستلاب في القصيدة؟

5.هل استطاع الشاعر أن يحقق غايته من خلال استراتيجية الاستلاب؟

وجاءت الدراسة في تمهيد ومبحثين. تناولت الباحثة في التمهيد مناسبة القصيدة، ومفاهيم الدراسة: الاستلاب، والأنا، والآخر. وعرضت في المبحث الأول الذي عنون بـ (الأنا المستلَبة) تجليات استلاب الآخر للأنا، وتضمن هذا المبحث المحاور التالية:

- سعاد واستلاب الأنا.
- الرسول ﷺ واستلاب الأنا.
- القبيلة واستلاب الأنا.
- القدر واستلاب الأنا.
- الناقة واستلاب الأنا.

أما المبحث الثاني الذي عنون بـ (الأنا المستلِبة)، فقد تناول تجليات الأنا في استلاب الآخر من خلال:

- خلق الرسول ﷺ.
- التراجع عن القول.
- الإعلان عن القصد، والتضرع لتحقيقه.
- التنصل من الذنب، وتصوير هيبته ﷺ.
- مدح الرسول ﷺ.

ثم انتهت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها الباحثة أهم النتائج.

أما الدراسات السابقة التي تناولت قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد)، فعلى الرغم من تنوعها، إلا أيًا منها لم يتطرق لاستراتيجية الاستلاب في القصيدة. ومن الدراسات التي أفادت منها الباحثة لتقاطعها مع الدراسة، دراسة بعنوان: الثنائية الضدية في قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير، قدمتها حلا عبد الفتاح سعيد (سعيد، 2023، ص23-40)، لكن دراستها تختلف عن دراستي؛ حيث تناولت الباحثة الثنائيات الضدية، أما دراستي، فقد عُنيت بتقصي مظاهر الاستلاب في القصيدة كلها من خلال توظيف الشاعر لمفردات اللغة وتصريفاتها، وتوظيف الصورة؛ لبيان أثر الاستلاب في تحقيق غرض الشاعر وقصده. وهذا يجعل دراستي تقدم قراءة جديدة لقصيدة كعب بن زهير، وفي الوقت نفسه تكون تتمة للدراسات السابقة التي تناولت القصيدة. أما استراتيجية الاستلاب التي اتكأت عليها الدراسة في التحليل، فقد طبقها باحثان في دراستين مختلفتين: تناولت الدراسة الأولى الاستلاب في الشعر الجاهلي (زاوي، 2005، ص 48-66)، وتناولت الثانية الاستلاب اللغوي...اللغة العربية ولغة الإشهار- قراءة في بعض النماذج الإشهارية الجزائرية (عمر، 2021، ص52-66). واستندت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي لتقديم قراءة لقصيدة كعب، تتناول جانبًا نظريًا أفاد من الظروف التاريخية لنشأة القصيدة، ومن المصطلحات المتعلقة بالدراسة، وجانبًا تطبيقيًا، وهو الذي توسعت فيه الدراسة، يكشف عن استراتيجية الاستلاب، وكيفية توظيف كعب لها للوصول إلى غايته.

التمهيد

مناسبة القصيدة

كان كعب بن زهير بن أبي سُلمى، من شعراء قريش الذين حاربوا الرسول ﷺ في بداية دعوته، وآثروا البقاء على دين الآباء والأجداد؛ فأهدر الرسول ﷺ دمه. وكان لكعب أخ يُدعى بجيرًا، آمن بالرسول ﷺ بعد أن سمع كلامه، ولما علم كعب بخبر إيمانه أغضبه ذلك، فقال: (ابن هشام، 2010، ص77-76):

أَلا أَبلِغا عَنّي بُجَيراً رِسالَـةً فَهَلْ لَك فيما قُلْتَ وَيْحَكَ هَل لَكا

سَقاكَ بها المأمونُ كأسًا رويَّةً فَـأنهَلَكَ المَأمور مِنها وَعَلَّكا

ففارَقْتَ أسبابَ الهدى واتَّبَعْتَهُ على أيّ شيءٍ وَيْبَ غَيْرِكَ وَلَّكا

على مذهبٍ لم تَلْفَ أمًّا ولا أبًا عَلَيْهِ ولمْ تعرِفْ عليه أخًا لَكَا

فإن أنتَ لمْ تفعلْ فلستُ بآسفٍ ولا قائلٍ إمّا عَثَرْتَ لعًا لكا

ولما بلغت الأبيات أخاه بجيرًا، أطلع عليها الرسول ﷺ، فأوعد الرسول ﷺ كعبًا بالقتل، وقال لصحابته: "من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله" (ابن هشام، 2010، ص77)، فبعث بجير إلى أخيه كعب محذرًا وناصحًا: "ويلك إن النبي أوعدك، وقد أوعد رجالًا بمكة فقتلهم، وهو والله قاتلك أو تأتيه فتسلم" (الجمحي، 1974، 99/1)، " فإنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض" (ابن هشام، 1955، 501/2). ولم يسمع كعب مقالة أخيه بداية، فذهب إلى مزينة لتجيره من الرسول ﷺ، فأبت عليه ذلك (السيوطي، 2005، ص108)، وتخلى عنه الأصدقاء، وضاقت الأرض عليه بما رحبت، وأشفق على نفسه، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه، فقالوا: هو مقتول (ابن هشام، 1955، 502/2-503)، مما جعله أشد خوفًا، وظن أن الجميع يبغي قتله، فصار مثله مثل القتال الكلابي حين قال (الكلابي، 1989، ص99):

كَأَنَّ بِلادَ اللهِ وَهيَ عَريضَةٌ عَلى الخائِفِ المَطلوبِ كِفَّةُ حابِلِ

ولما رأى كعب تخلي الآخرين عنه، قدم المدينة قاصدًا الرسول ﷺ ليستأمنه، ودخل المسجد متخفيًا، ووضع يده بيد الرسول ﷺ ثم قال: "يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ قال: (نعم). قال: أنا يا رسول الله كعب بن زهير، فأمنه الرسول ﷺ فقال قصيدته البردة التي أعلن فيها عن غايته ومراده من القدوم عليه ﷺ حين قال (ابن هشام، 2010، ص19):

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللهِ مَأمولُ

مفاهيم الدراسة

الاستلاب

جاء في اللسان أن السلب: ما يُسلب ويأخذه أحد القرنين في الحرب من قرنه، ورجل سليب: مستلب العقل، وأسلبت الناقة: سُلبت ولدها بموت أو غير ذلك. والاستلاب اختلاس، وأخذ في نهزة ومخاتلة (ابن منظور، 1414، سلب). و"سلبت (المرأة) فؤاده أو عقله: أحبها حبًا جعله عاجزًا عن السيطرة على نفسه" (المعجم العربي الأساس، سلب) وحين يقال: إن المرء يعيش حياة استلاب فإن القصد من ذلك أنه "يعيش حياة خضوع واستعباد بفعل ظروف اجتماعية، أو اقتصادية، أو فكرية، أو سياسية خارجة عن إرادته" (عمر، 2021، ص53).

والاستلاب مصطلح فلسفي، يعني نقل الملكية وتحويلها إلى آخر، طواعية بالتخلي والتنازل عن الحق، أو غصبًا. والمستلَب يكون مفعولًا به فقط، لفاعل دلالي هو الآخر الذي يفقد الأنا شعورها بنفسها، ويجعلها غير قادرة على الفعل أو المقاومة؛ وبذلك يصبح الاستلاب تعطيلًا للقدرات، وسيطرة تمنع من وقع عليه الاستلاب من المواجهة (عمر، 2021، ص53-54) .

ويتضح مما سبق أن المستلَب يملك القدرة إلا أنه يخضع لقوة خارجة تطغى عليه، وتعطل قدرته قسرًا، فيظهر عاجزًا مستلَبا. ولما كان كعب يسعى لنيل العفو واستمالة الرسول ﷺ باستعطافه، فقد حرص أن يظهر نفسه بصورة المستلَب، المفعول به، وغير القادر على الفعل؛ ليثير شفقة الرسول ﷺ، ومن ثم يحقق بغيته من إنشاء خطابه.

الأنا

تعرف الأنا لغة، بأنها: "ضمير الشخص المفرد المصور لذاته، والمعبر عنها" (السليماني، 2009، ص90-97). والأنا هي "الجانب الواعي لذات الشخصية الإنسانية، ومشاعره وأفكاره تجاه كل ما هو خارج عنه ويحيط به، سواء كان ماديًا أم معنويًا، أي هو يمثل حلقة الوصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي" (بلاوي، 2020، ص6). ويقصد بالأنا في دراسة قصيدة كعب، الذات الشاعرة التي تحاول أن تظهر ضعفها وعجزها أمام فاعلية الآخر، وقدرته على التأثير فيها، واستلابها وعيها.

الآخر

إذا كانت الأنا هي الذات نفسها، فإن كل ما لا يتعلق بها يصنف بالآخر. و"الآخر لغة هو غير، كقولك: رجل آخر" (ابن منظور، 1414، آخر). وتتعدد دوائر الآخر ومستوياتها، "ويختلف تحديد الآخر تبعًا لموقع الناظر إليه؛ فالآخر بالنسبة للذات الدينية هو ذلك الإنسان الذي ينتمي إلى دين آخر، أما الآخر بالنسبة إلى الذات القومية أو العرقية فهو الذي ينتمي إلى قومية أو عرقية أخرى" (الهروط، 2008، 13). وتعددت صور الآخر في قصيدة كعب تبعًا للمرحلة الزمنية التي عاشها الشاعر؛ ففي الجاهلية، كان الآخر سعاد المحبوبة أو الحياة الجاهلية، والقبيلة، ولما ظهر الإسلام ظهرت صورة جديدة للآخر، تمثلت: بالممدوح الرسول ﷺ، والوشاة، والأخلاء.

مباحث الدراسة

المبحث الأول/ الأنا المستلَبة

أعلن كعب عن قصده من القدوم على الرسول ﷺ وإنشاده الشعر حين قال (ابن هشام، 2010، ص19) :

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

وكان كعب يدرك أن الوصول إلى غايته لن يتم ما لم ينجح في استمالة مخاطبه؛ ولذا توسل بما يمكنه لإثارة شفقة الآخر، متخذًا من استلاب الأنا حجة لإقناع الرسول ﷺ عاطفيًا وعقليًا بعجزه وضعفه، وتأثير الآخر السلبي فيه. وتجلت حالة استلاب الذات الشاعرة في القصيدة من خلال حديث الشاعر عن:

1. **سعاد واستلاب الأنا**

افتتح كعب قصيدته بقوله (ابن هشام، 2010، ص17):

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ مُتَيَّمٌ إِثـرَها لَـم يـُفـدَ مَكـبولُ

مصورًا في بيته السابق الحالة النفسية والعاطفية التي يمر بها من خلال توظيف صيغة اسم المفعول (متيم، متبول، مكبول)، التي تدل على عجز الأنا التي تأثرت سريعا بفراق سعاد، فما أن رحلت سعاد حتى ظهر عليها أثر هذا الفراق، وعبر الشاعر عن سرعة تفاعل الأنا بحدث الفراق من خلال حرف (الفاء) المتصل بلفظة (فقلبي)، الذي ربط بين الفعل (بانت) وأثر الفعل (متبول، متيم، مكبول)، وبيّن سرعة تفاعل الأنا والحدث؛ لإحداث تأثير عاطفي في المتلقي.

سلب رحيل سعاد الأنا سعادتها واستقرارها، وحولها إلى ذات شقية عاطفيًا وجسديًا. وظهر هذا التحول من خلال وصف الشاعر لقلبه بـ(متبول، ومتيم، ومكبول)، مصورًا بذلك الضعف العاطفي، والضعف الجسدي والمعنوي. ويمكن الوقوف على ما تحمله هذه الألفاظ من دلالات الضعف والعجز من خلال المعاني المعجمية للكلمات الثلاث. اتفقت لفظتا (متبول ومتيم) في دلالتهما على الإفساد وذهاب العقل؛ فقد جاء في اللسان: التبل والتيم يدلان على ذهاب العقل، وفساده من الهوى. وقلب متبول: إذا غلبه الحب وهيمه أي أسقمه وأفسده. والتيم: العبد، أن يستعبده الهوى، ومتيم معبد ومذلل (ابن منظور، 1414، تيم).

يُلحظ من المعنى المعجمي لكلمتي (متبول ومتيم) أن العقل تابع للقلب، وهو "المعتبر والمعول عليه في الجسد، وسائر الأعضاء أتباعه (السيوطي، 2005، ص126). وإذا فسد القلب فسد العقل، كما جاء في الحديث الشريف: "ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب" (مسلم، ه1334، 1599)؛ ولذا نسب الشاعر الصفات للقلب باعتباره موطن العاطفة، والمحرك الأساس لأفعال الأنا. ويسلب فساد القلب والعقل بفعل الهوى، الأنا، القدرة على التميز والوعي بما يحدث في المحيط، ويجعلها ذليلة وعبدة للآخر، الهوى وصاحبه، والعبودية التي تسلب صاحبها الحرية والفاعلية، وتجعله مفعولًا به لا قدرة له على الفعل. وتأكيدًا لهذا العجز، جاء الشاعر بالصفة الثالثة للقلب (مكبول)؛ فالهوى قيد الشاعر وأفقده القدرة على التصرف، وحبسه في دائرة الآخر، لا يستطيع الخروج منها. ووفق الشاعر في اختيار لفظة (مكبول) المشتقة من الكبل، وهو القيد الضخم، وهو أعظم الأقياد (ابن منظور، 1414، كبل)؛ فشدة القيد تدل على شدة أثر هوى الآخر وسيطرته، والتكبيل يفقد الأنا الحرية والفاعلية.

كان كعب في تصويره شدة أثر الهوى على القلب والعقل يروم إلى إيصال رسالة ضمنية للرسول ﷺ مفادها؛ أنه إنسان عاجز، لا يملك من أمر نفسه شيئًا، لسيطرة الآخر عليه، وعدم قدرته على مقاومة هذه السيطرة؛ وفي ذلك اعتراف ضمني من الشاعر بعجزه، وهو اعتراف قصد به أن يثير شفقة الرسول ﷺ ليسامحه ويعفو عنه. ولما كان كعب يسعى إلى إقناع الرسول ﷺ بعجزه، وقدرة الآخر على استلاب قوته ووعيه، فقد وجب عليه أن يقنع الرسول ﷺ بقوة أثر سعاد؛ ولذا فرط الشاعر بوصف جمال سعاد، فقال(ابن هشام، 2010، ص17):

وَما سُعادُ غَداةَ البَينِ إِذ رَحَلوا إِلّا أَغَنُّ غَضيضُ الطَرفِ مَكحولُ

بدأ كعب وصف صوت سعاد ثم الطرف، بطريقة تظهر براعته البلاغية في رسم صورة كاملة لسعاد تثير الحواس والعاطفة. ويعكس ترتيب الشاعر لعناصر الجمال السابقة، التصاعد التدريجي في علاقة الشاعر بسعاد؛ إذ يبدو أن الشاعر سمع صوتها فاستحلاه، "فدعاه ذلك إلى رؤيتها، فاحتال على نظرها، فرأى جفنها منسدلًا لغلبة الحياء عليها، فدعاه ذلك إلى رؤية داخل عينها، فسارقها النظر حتى رآها، فرأى في كل الحالات ما أبهج خاطره وهيج بلباله" (السيوطي، 2005، 151). وبعد وصف الشاعر صوت سعاد وطرفها، انتقل إلى وصف ابتسامتها وبريق أسنانها، وشبه الشاعر ثغر سعاد بشارب خمر منهل بالراح، معلول بها. وربط بين الثغر والخمر للشبه بينهما؛ فكلاهما يحدث حالة من السكر أفقدت الشاعر اتزانه، وجعلته مسلوب الإرادة، أسيرًا للخمرة والسكر العاطفي الذي تسبب بإهدار دمه. قال كعب (ابن هشام، 2010، ص17):

تَجلو عَوارِضَ ذي ظَلَمٍ إِذا اِبتَسَمَت كَـــأَنَّهُ مُنهَلٌ بِـالـراحِ مَـعلولُ

شُجَّت بِـذي شَـبَمٍ، مِن ماءِ مَحنِيَةٍ صافٍ بِأَبطَحَ، أَضحى وَهُوَ مَشمولُ

تَنفي الرِياحُ القَذى عَنُه، وَأَفرَطَهُ مِن صَوبِ سـارِيَةٍ بيض، يَعاليلُ

يكشف وصف الشاعر لجمال سعاد السابق عن نسق مضمر، دل عليه النسق الظاهر؛ فليس قصد الشاعر التغزل بسعاد وهو بين يدي الرسول ﷺ الذي يروم عفوه واستمالته؛ وإنما قصد إلى إيصال رسالة ضمنية لمتلقيه، يبين فيها أن إغراء سعاد الفتاة والحياة هو ما جعله لا يلتفت للدين الجديد، وأوقعه فريسة لعهودها المزيفة. ولعل كعب في توظيفه لفكرة اغترار الإنسان بمتاع الحياة، وظف معنى الآية القرآنية: "ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ" (الأعراف،51)، في وصف القرآن لحال الضالين بسبب تبعيتهم لمتع الحياة الدنيا، وذلك لبيان سبب ضلال الأنا، وأثر المضل القوي في الأنا التي أظهرها كعب مسكينة، ومفعول بها لا فاعلة، وتستحق الشفقة والعفو.

2. الرسول ﷺ واستلاب الأنا

كان الرسول ﷺ لا يغضب ولا ينتقم لنفسه "إلا أن تنتهك محارم الله تعالى" (البخاري، 1982، 6126)، كما روت السيدة عائشة، رضي الله عنها، وكان ﷺ شديد السطوة، قوي البأس على الكافرين، يغلظ لهم في القول ائتمارًا بأمره تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ" (التوبة: 73)؛ ومن ثم كان إهدار الرسول ﷺ دم كعب نتيجة حتمية لمّا تعدى على حرمات الله، وهجا الرسول ﷺ وتعرض للإسلام، الأمر الذي أدى إلى حدوث الاستلاب الأكثر تأثيرًا في حياته؛ إذ أفقده الشعور بالأمان نتيجة وعيد الرسول ﷺ له، وأخرجه من العقد الاجتماعي القبلي الذي كان يأمل في نصرته. وتجلى ذلك في قول كعب (ابن هشام، 2010، ص19):

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

وظف كعب الفعل (أنبئت) لما يحمله من دلالة على عظم المنقول (إهدار الدم)، ولارتباطه بالصوت والتبليغ، وهذا يؤكد أن النبأ الذي وصل الشاعر كان تهديدًا حقيقيًا وليس إشاعة. واستخدام الشاعر للفعل مبنيًا للمجهول نابع من إحساس الشاعر بالخطر الشديد الصادر عن كل من حوله، والذي عبر عنه الشاعر بالفعل (أوعدني) الذي لا يكون إلا في الشر. وفي توظيف الشاعر الضمير المفرد (تُ/ ني) يبين أن التهديد خاص به، وهذا مما يزيد من شعوره بفقد الأمان.

ووصف كعب الرسول ﷺ حين دخل عليه مجلسه، ووضع يده بيده بأنه (ذي نقمات) قادر على عقوبة من يؤذي الإسلام ويتجاوزه، فقال: (ابن هشام، 2010، ص19):

حَتّى وَضَعتُ يَميني، لا أُنازِعُه في كَفِّ ذي نَقِماتٍ، قيلُهُ القيلُ

وجعل كعب النقمات جمعًا إشارة إلى تعدد صور العقاب. وربط النقمات بكف الرسول ﷺ متخذًا من الكف رمزًا لسيطرة الآخر، وتحكمه بمصير الأنا الشاعرة، مما يعكس استلاب الأنا التي أصبحت تحت رحمة الآخر.

3. القبيلة واستلاب الأنا

عاش كعب في مجتمع خاضع لنظام قبلي عصبي، يجمع بينه وبين أفراده عقد اجتماعي، يضمن الحماية للفرد مقابل ولائه التام لقبيلته، وكانت القبيلة بذلك هي الدرع الحامي للفرد مهما بلغت أخطاؤه وتجاوزاته. فلما ظهر الإسلام، دعا إلى تجاوز العصبية القبلية واستبدالها بعصبية دينية، فتآكل العقد الاجتماعي القائم على التعصب والقبلية، ودخلت كثير من القبائل الإسلام، وحسن إسلامها. ومن تلك القبائل، قبيلة الشاعر مزينة التي أسلمت في النصف الثاني من السنة الخامسة للهجرة في أربع مئة رجل، وشاركت في فتح مكة بألف رجل (ابن سعد، 1990، 1/222-223).

كان إسلام قبيلة مزينة سببًا آخر في استلاب الشاعر، فقد أبت أن تجيره حين لجأ إليها، وتخلت عنه، فنقض العقد الاجتماعي الذي كان يربطه بها،

مما أفقده السند والأمان، وجعله يشعر بالعزلة كالثور (المفرد اللهق)، وقد عبر كعب عن حالة الاستلاب هذه حين قال (ابن هشام، 2010، ص19):

وقال كلُّ خليلٍ كُنْتُ آمُلُه: لا أُلفِينّكَ، إني عنك مَشْغولُ

فقلتُ: خَلُّوا طريقي، لا أبا لَكُمُ، فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ

كلُّ ابن أُنْثى، وإن طالتْ سَلامَتُه يَوْمًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

يجسد الحوار السابق بين الأنا/ الشاعر والآخر/ الخليل حالة من التحول العميق بينهما، التحول من الحضور إلى الغياب، ومن الفاعلية إلى الاستلاب، وذلك من خلال تحول الآخر من قوة معنوية واجتماعية حاضرة، تساند الشاعر بتوفير الأمان والانتماء بفعل العقد الاجتماعي الذي كان يفرض عليهم نوعًا من الولاء والتكاتف الاجتماعي الجاهلي، إلى آخر غائب، خذل الشاعر وتخلى عنه بتخليه عن العقد الاجتماعي القائم على الولاء، فصار الأمل استلابًا كاملًا، قطعت فيه الروابط التي كانت تمنح الأنا القوة. ويظهر الحوار التحولات القيمية التي طرأت على المجتمع العربي بعد ظهور الإسلام، حيث بدأت العلاقات الاجتماعية تتغير؛ فأصبحت تقوم على الولاء للدين بدلًا من الولاء للدم.

ووظف كعب اللغة للتعبير عن حالة الاستلاب السابقة، وفقد التوازن النفسي والاجتماعي حين قال: (كنت آمله)، معبرًا بصيغة الماضي عن فقدان الأمل الذي لم يعد قائمًا، والعلاقة التي انقطعت بالفعل، كما يعكس الفعل (آمل) الثقة العميقة بالخليل عند الشاعر، مما جعل خيبة أمله أكثر إيلامًا. و ويوسع الشاعر في قوله (كل خليل) الاستلاب ليشمل القبيلة كلها، فلم يكن خذلانه وسلبه الأمان حالة فردية، بل كان خذلانًا شاملًا من جميع من كان يأمل فيهم خيرًا، وهذا مما عزز شعوره بالعزلة والاستلاب. وأكد الشاعر الانقطاع الكامل لحضور الآخر باستخدام عبارة (لا ألفينك) التي يعبر كعب فيها من خلال الفعل عن توقه لإجارة الخليل له، إلا أن النفي بـ (لا)، والتوكيد بـ (النون الثقيلة)، يعبر عن الخذلان ونفي الحضور المطلق، مما يبرز العزلة التي وجد الشاعر نفسه بها، ويعكس التناقض بين (كل خليل كنت آمله) و (لا ألفينك) التحول الجذري، حيث بدأت البنية اللغوية بالتوقع الإيجابي (الأمل) وانتهت بالنفي القاطع (الخذلان) الذي برره الآخر بقوله: (إني عنك مشغول). وحمل جواب الآخر تبريرًا واهنًا للخذلان، وعذرًا يتناقض مع توقعات الشاعر من الخليل. واستطاع باستخدام (عنك) الدالة على المجاوزة أو البعد أن يعكس بعد الخليل عن الشاعر جسديًا ونفسيًا واجتماعيًا. وتبرز الكاف في (عنك) أن الخطاب موجه له خصيصًا لتعديه على الإسلام، وفي ذلك إشارة لانحياز الخليل لقيم المجتمع الإسلامي الجديد الذي فرض منظومة ولاء جديدة، قائمة على العقيدة بدلًا من الولاء القبلي أو الفردي.

4. القدرواستلاب الأنا

عبر كعب عن غضبه من المجتمع لخذلانه بقوله (ابن هشام، 2010، ص19):

فقلتُ: خَلُّوا طريقي، لا أبا لَكُمُ، فكلُّ ما قَدَّرَ الرَّحمنُ مفعولُ

كلُّ ابن أُنْثى، وإن طالتْ سَلامَتُه يَوْمًا على آلةٍ حَدْباءَ مَحْمولُ

ومن خلال استخدام فعل الأمر (خلوا طريقي) و دعاء (لا أبا لكم)، كشف الشاعر عجزه عن مواجهة المجتمع. ووظف الشاعر الحكمة ليؤكد ذلك، وفي الوقت نفسه يصور استلابًا أكبر وقع له، فقال: (فكل ما قدر الرحمن مفعول)، و (كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلة حدباء محمول). إن لجوء الشاعر للحكمة، لم يكن عن قناعة بقدر ما كان في تلك اللحظة نوعًا من التعبير عن استلاب القدر له، ومحاولة للتخفيف من إحساسه الفردي بالاستلاب. فلفظة (كل) التي كررها الشاعر مرتين، تبين أن استلاب القدر ليس قاصرًا على الشاعر، وإنما هو استلاب جماعي. ووظف الشاعر مرة أخرى صيغة اسم المفعول ليبين عجزه عن الفعل، وفاعلية الآخر التي لا يملك أمامها شيئًا. فكل شيء قدره الله مفعول فيه، وكل ابن آدم محمول أي ميت لا محالة؛ وهذا العجز الإنساني ما هو إلا مدخل لتأكيد العجز الفردي، ومحاولة لإثارة شفقة الرسول ﷺ.

5. الناقة واستلاب الأنا

بعد كل ما واجه الشاعر من استلاب، كان عليه الاستسلام، واللجوء للرسول ﷺ ليؤمنه، فقرر الارتحال إليه ﷺ، واتخذ من الناقة معادلًا موضوعيًا لذاته، يعبر من خلالها عن أزمته الاجتماعية والنفسية. وتجلى ذلك من خلال وصف الشاعر للناقة، وما تعكسه من حالته الجسدية والنفسة حين قال(ابن هشام، 2010، ص18):

أمسَت سُعادُ بِأَرضٍ لا يُبَلِّغُها إِلّا العِتاقُ النَجيباتُ المَراسيلُ

وَلَن يُبَلِّغها إِلّا عُذافِرَةٌ فيها عَلى الأَينِ إِرقالٌ وَتَبغيلُ

مِن كُلِّ نَضّاخَةِ الذِفرى إِذا عَرِقَت عُرضَتُها طامِسُ الأَعلامِ مَجهولُ

تَرمي الغُيوبَ بِعَيَنَي مُفرَدٍ لَهَقٍ إِذا تَوَقَدَتِ الحِزّازُ وَالميلُ

ضَخمٌ مُقَلَّدُها، عَبْلٌ مُقَيَّدُها في خَلقِها عَن بَناتِ الفَحلِ تَفصيلُ

غَلْباءُ، وَجْناءُ، عُلْكُومٌ، مُذكَرَةٌ في دَفِّها سَعَةٌ، قُدَّامها مِيْلُ

وجِلْدُها مِنْ أَطُوم، ما يُؤَيِّسُهُ طلْحٌ، بِضَاحِيَةِ المَتَيْنِ مَهْزُولُ

حَرفٌ، أَخوها أَبوها، مِن مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّها خَالُها، قَوداءُ شَمليلُ

يَمشي القُرادُ عَلَيها ثُمَّ يُزلِقُهُ مِنها لَبانٌ، وَأَقرابٌ زَهاليلُ

لما أهدر الرسول ﷺ دم كعب، وتخلى عنه الجميع؛ ولم تلتزم قبيلته بالعقد الاجتماعي الذي كان يربطه بها، فقد الأمان والاستقرار، فعزم الرحيل للرسول ﷺ لطلب العفو. وكان عليه للوصول إلى الرسول ﷺ، أو سعاد التي رحلت عنه، وسلبته في رحيلها الحياة الماتعة التي كان يعيشها، أن يتوسل بناقة تعينه على اقتحام الأهوال، من أجل تحقيق مراده؛ ولذا أحضر "الشاعر للناقة كل صفات القوة والقدرة على التحمل، وكأنه يتحدث عن ذاته". (نصرت، 1971، ص168) والناظر في صورة الناقة عند كعب يجد تشابهًا بينهما في الصفات والظروف، مما يجعلها معادلًا وممثلًا للشاعر، خرج به الشاعر عن المنجز الشعري القديم في وصف الناقة، وما كان هذا الخروج إلا للتعبير عن حالة الاستلاب والفقد التي كان يعيشها برحيل سعاد التي أسكرته ففقد وعيه، فلما رحلت شقي برحيلها.

خلق كعب ناقة تعكس حالة الشاعر النفسية والجسدية، وتتماهى مع الذات في الصفات والمحن؛ فكلاهما يعاني المشقة والتعب، ويتحمل الأعباء الثقيلة في سبيل النجاة والوصول إلى الغاية. وتكشف صورة الناقة عن حالة الاستلاب التي تعاني منها، وهي ذاتها حالة استلاب الشاعر؛ فعلى الرغم من صفات القوة والصلابة التي خلعها الشاعر على ناقته، إلا أننا "نلمح خيوط ضعف فيها بحضور الثور الوحشي" (سعيد، 2023، ص34) حين قال كعب (ابن هشام، 2010، ص18):

تَرمي الغُيوبَ بِعَيَنَي مُفرَدٍ لَهَقٍ إِذا تَوَقَدَتِ الحِزّازُ وَالميلُ

شبه الشاعر ناقته بثور وحشي (مفرد)، انقطع عن القطيع، فخسر الحماية والأمن اللذين كانا يتمتع بهما وهو في القبيلة، وكعب كالناقة والثور؛ فبعد إهدار دمه، أخرجته القبيلة من العقد الاجتماعي الذي كان يربطه بها، وتخلى عنه الأصدقاء، فصار وحيدًا خائفًا مترقبًا، مسلوب الأمان والحماية والاستقرار، لا يملك شيئًا سوى الاستسلام (سعيد، 2023، ص35). وجعل كعب الثور (لهقًا) أي شديد البياض، ولا أظن الشاعر أراد أن يخبر عن اللون، وإنما أراد أن يرمز إلى شدة وضوح الثور، فاللون الأبيض يلفت النظر، ويجعل صاحبه بارزًا، وهذا ما كان يشعر به الثور، وشعر به كعب أيضا، فتفردهما أشعرهما بأنهما واضحان للجميع. وهذا ما جعل الناقة (ترمي الغيوب بعيني مفرد لحق)، ففقدان الأمان يجعلها تحدق في كل ما حولها، وجعل الشاعر الجو شديد الحرارة ليصور شدة تحديق الناقة في مثل هذا الجو، وما ذلك إلا لحالة الحذر والخوف والترقب التي كانت تعيشها.

لم تملك الناقة أمام عزلتها، وخوفها الشديد، وشعورها بملاحقة الجميع لها، إلا أن تطلق العنان لقدميها، وتسرع في السير بحثًا عن سبيل النجاة. وصور كعب سرعة الناقة متخذًا من موقف الفقد مصدرًا لتلك الصورة، قال كعب (ابن هشام، 2010، ص18-19):

كَأَنَّ أَوبَ ذِراعَيها إِذا عَرِقَت وَقَد تَلَفَّعَ بِالقورِ العَساقيلِ

وَقالَ لِلقَومِ حادِيهِم، وَقَد جَعَلَت وُرقُ الجَنادِبِ يَركُضنَ الحَصا، قيلوا

شَدَّ النَهارُ، ذِراعاً عَيطَلٍ نَصَفٍ قامَت، فَجاوَبَها نُكدٌ مَثاكيلُ

نَوّاحَةٌ، رَخوَةُ الضَبعَين لَيسَ لَها لَمّا نَعى بِكرَها الناعونَ مَعقولُ

تَفري اللَبانَ بِكَفَّيها، وَمِدرَعُها مُشَقَّقٌ عَن تَراقيها، رَعابيلُ

استعار الشاعر صورة الأم التي فقدت ابنها البكر؛ لتصوير سرعة ناقته وهي في طريقها للرسولﷺ، ولعقد نوع من المماثلة بينه وبين الناقة، وكان تشبيهه في "غاية الحسن". جعل الشاعر المفقود بكرًا، وبذا يكون الفقد أكبر والحزن أعمق؛ لمكانة البكر عند الأم، فوجوده يحول الأم من عالم تكون فيه امرأة فقط إلى عالم الأمومة، وينقلها من عالم الفردية والسكينة الذاتية إلى عالم مزدحم بالحب والمسؤولية تجاه من تراه سندًا لها وللأسرة في المستقبل. وهو في الوقت نفسه جسر ينقلها من عالم الأمس والترقب إلى عالم الغد والإنجاز والحقيقة. وبموت الابن البكر تصبح الأم مستلبَة؛ فاقدة لحاضر ومستقبل ارتبطا بالأمل والأمان والسند، وبذا تنتقل إلى مستقبل مجهول مليء بالحزن العميق، والخوف والترقب. وكعب مثله مثل هذه الناقة، الأم الفاقدة؛ فحين أهدر دمه، وتخلى عنه الجميع، انتقل من حاضر مرتبط بالقبيلة، والأمان، والسند، إلى مستقبل مجهول، مليء بالفزع والترقب، وأصبح فاقدًا مستلَبًا. وإذا كانت الأم قد عبرت عن حزنها العميق بالنياحة واللطم وترجيع اليدين الذي اشتد وقوي حين رأت لطم نكد مثاكيل مثلها، فإن الشاعر عبر عن خوفه وفقده وحزنه العميق، بسرعة سير الناقة وشدته للوصول إلى غايتهما. وكما أن الناقة لم تشاهد مصرع بكرها وإنما أنبأها الناعون (لما نعى بكرها الناعون)، فإن كعبًا هو الآخر لم يتلق الوعيد من الرسولﷺ مباشرة، وإنما أخبر به إخبارًا (سعيد، 2023، ص34) (أنبئت أن رسول الله أوعدني). وسلب عظم الفقد النائحة العقل؛ فلم يعد لها رادع يردعها، أو زاجر يزجرها، ولم تعد تشعر بالإعياء والتعب (السيوطي، 2005، 236)، وحال الشاعر كحال النائحة؛ أفقد تخلي الجميع عنه الأمان، فجعله هذا الأمر مطاردًا ورصدًا للجميع، وجعله يسرع السير بشدة فقد معها الإحساس بالتعب والمشقة رغم اشتداد حرارة الجو.

المبحث الثاني/ الأنا المستلِبة

لم يستطع كعب أن يواجه سعاد ويتغلب على تأثيرها، وأدرك أنه غير قادر على مواجهة الرسول ﷺ والدين الجديد، لاسيما بعد أن خذله مجتمعه؛ لذا كان عليه أن يجد طريقًا يمكنه من النجاة بنفسه، ويصيره من ذات مستلَبة إلى ذات مستلِبة، قادرة على التأثير في الآخر، وحمله على تحقيق مرادها.

وكان للآخر دور في تحويل الشاعر من أنا مستلَبة إلى أنا مستلبِة؛ فحين خذله المجتمع، اضطر كعب أن يبحث عن سبيل للأمان، ولم يكن أمامه غير قصد الرسول ﷺ، الذي لعب دورًا فاعلًا في تحول الأنا حين مهد له السبيل إليه. وكان على كعب أن يضع استراتيجية تمكنه من الوصول للرسول ﷺ لسلب عطفه وإثارة شفقته، ووضع استراتيجية، وعزم على تنفيذها من خلال:

1.**شخصية الرسول** ﷺ: استغل كعب شخصية الرسول ﷺ، وما سمع عنه من خلق الوفاء بالوعد، فقرر، وبناء على مشورة أخيه بجير، أن يأتي الرسول ﷺ تائبًا. فجاءه متخفيًا، وجلس بين يديه في مجلسه، ووضع يده في يد الرسول ﷺ سائلًا: (إن جاءك كعب تائبًا فهل تعفو عنه، فأجاب: نعم). ووفى الرسول ﷺ بوعده وأعطاه الأمان، وحماه من غضبة الأنصاري الذي أراد أن يقطع عنقه. وكان قدومه، وإعلانه الرغبة في التوبة، أول استلاب استطاع به أن يستميل الرسول ﷺ، ويوقف إهدار دمه.

2. **التراجع عن الهجاء:** كان كعب كغيره من شعراء المشركين يهجون الرسول ﷺ وصحبه، فحين علم بإسلام أخيه قال (السيوطي، 2005، ص105):

أَلا أَبلِغا عَنّي بُجَيراً رِسالَـةً فَهَلْ لَك فيما قُلْتَ وَيْحَكَ هَل لَكا

سَقاكَ بِها المأمونُ كأسًا رويَّةً فَـأنهَلَكَ المَأمون مِنها وَعَلَّكا

ولم يعجب الرسول ﷺ ما قال كعب، فقال: "صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون". ولما كشف كعب اللثام عن وجهه، وعرف عن نفسه، استنشد الرسول ﷺ أبا بكر ما قال كعب، فأنكر ما سمع وقال: لم أقل هكذا، إنما قلت(السيوطي، 2005، ص109) :

سَقاكَ أبو بكر بكأسٍ رويَّةً وأنهَلَكَ المَأمون مِنها وَعَلَّكا

فقال رسول الله ﷺ والله ؟!". لقد أنكر كعب قوله في الجاهلية لما رأى استنكار الرسول ﷺ له وغضبه، آملًا أن يحدث تصرفه تغييرًا في عاطفة الرسول ﷺ ومن ثم يرضى عنه، ويتحول هذا التغيير العاطفي إلى تغيير في العقل، فيصدر ﷺ حكمًا بالعفو عنه. ونجح كعب مرة أخرى في استلاب الرسول ﷺ، فقبل توبته، وعطل حكم قتله.

3. **الإعلان عن القصد والتضرع لتحقيقه:** وذلك حين قال(ابن هشام، 2020، ص19):

أُنبِئتُ أَنَّ رَسولَ اللَهِ أَوعَدَني وَالعَفُوُ عِندَ رَسولِ اللَهِ مَأمولُ

مَهلاً هَداكَ الَّذي أَعطاكَ نافِلَةَ الـ قُرآنِ فيها مَواعيظٌ وَتَفصيلُ

يعلن كعب في الشطر الثاني من البيت عن أمله في عفو الرسول ﷺ عنه، مستبدلًا هذا الأمل بالأمل الذي كان ينتظره من القوم الذين خذلوه. وفي توظيف اسم المفعول (مأمول) تغير في دلالة الصيغة الصرفية في القصيدة؛ إذ جاءت في بداية القصيدة (متبول/ متيم/ مكبول) لتدل على الضعف واستلاب الآخر لأمان الشاعر واستقراره، أما في البيت السابق، فجاءت لتدل على أمل الشاعر في أن يتحول الاستلاب إلى استلاب إيجابي؛ يستبدل به

الأمان والعفو بالخوف والوعيد، وكان عليه ليصل إلى مبتغاه أن يستعطف، ويتلطف في القول المتوصل به إلى استجلاب القلوب واستمالة الخواطر (السيوطي، 2005، 360).

وتجلى الاستعطاف في البيتين السابقين من خلال الإقرار بنبوة الرسول ﷺ وصدق رسالته، وتحقق ذلك بتكراره لعبارة (رسول الله) مرتين، والتذكير بنعمة القرآن على الرسول ﷺ، وما جاء فيه من أوامر ونواه وتفصيل للأحكام. وفي هذا الإقرار إدراك من الشاعر أن التهديد ليس أمرًا شخصيًا، كما يوحي به استخدامه للضمير المفرد في (أنبئت، وأوعدني)، وإنما هو تهديد من السلطة الدينية التي حلت محل السلطة القبلية، وبالتالي فإن الشاعر يقر بأن الأمر بيد الرسول ﷺ، ولا يستطيع النفاذ منه. ولما كان الأمر كذلك، طلب الشاعر من النبي ﷺ ألا يعجل عليه بالانتقام (مهلًا)، وتضرع له بألا (تأخذني بأقوال الوشاة) الذين يسعون بالكذب. وتوسل الشاعر بطلب التمهل والتضرع؛ ليجد فرصة يذكر بها الرسول ﷺ بنعمة القرآن الذي أنزله الله عليه، وبما جاء فيه من أوامر ونواه، وتفصيل للأحكام تدعو إلى العفو والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: "خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ" (الأعراف: 199)، وليذكره من خلال لفظة (الوشاة) بما جاء في القرآن بحقهم حين أمر الله عز وجل بضرورة التثبت من الأقوال قائلا: "يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا" (الحجرات: 6) أي تحققوا مما نقل هؤلاء. واستخدم الشاعر لفظة (الوشاة) جمعًا ينسجم مع إحساس الشاعر بعظم التهديد والاستلاب الذي شارك فيه الجميع، وهو سبيل لاستثارة عاطفة الرسول تجاه جاهل تخلى عنه الجميع.

4. **التنصل من الذنب، وتصوير الهيبة:** حين جاء كعب الرسول ﷺ تنصل من الذنب، وصور هيبته ﷺ، فقال (ابن هشام، 2020، ص19):

لا تَأخُذَنّي بِأَقوالِ الوُشاةِ وَلَم أُذنِب وَلَو كَثُرَت عَنّي الأَقاويلُ

لَقَد أَقومُ مَقاماً لَو يَقومُ بِهِ أَرى وَأَسمَعُ ما لَو يَسمَعُ الفيلُ

لَظَلَّ يُرعَدُ إِلّا أَن يَكونَ لَهُ مِنَ الرَسولِ بِإِذنِ اللَهِ تَنويلُ

تبرأ كعب من ذنبه حين قال: "ولم أذنب"، آملًا أن يكون تبرؤه هذا مع الاعتذار والاستعطاف وإظهار الخوف، مما يوجب قبول عذره، ويجعل الرسول ﷺ يغض عن ذنبه، ولا يعنفه بالأساءة، فالندم توبة، ولا ذنب لتائب؛ ولذلك لم يثرب الرسول ﷺ على كعب، ولم يوبخه (السيوطي، 2005، ص263).

ثم انتقل إلى تصوير هيبة الرسول ﷺ، وما دخل في نفسه من روع حين وقف بين يديه. وتوسل كعب بالصورة ليرسم المشهد؛ فاختار الفيل الذي لم تعرفه الجزيرة العربية إلا مع قدوم أبرهة لهدم الكعبة، وما اختياره لهذا الحيوان إلا لدلالته على الضخامة، ولما كان كعب يريد تعظيم الأمر وتهويله، لم يجد أنسب من الفيل لوصف عظم شعوره. فهذا الفيل الذي يعد من أضخم الحيوانات جثة، وأثبتها جأشًا، لو رأى ما رأى الشاعر في مجلس الرسول ﷺ، وسمع ما سمع "لارتعدت فرائصه، وتزعزعت قوته" (السيوطي، 2005، ص369). وإمعانًا في تأكيد هيبته ﷺ، لجأ الشاعر منذ البداية إلى تأكيد كلامه بالقسم المحذوف في قوله: (لقد أقوم مقامًا) وتقديره (والله لقد أقوم مقامًا). وفي غلبة الفعل المضارع (أقوم، أرى، أسمع، يسمع، يرعد) تأكيد على ثبات الهيبة، واستلاب الشاعر، والاعتراف بالخوف، والفزع من وعيده ﷺ. وفي توظيف الشاعر الاستثناء في قوله: (إلا أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويل)، استمالة للرسول ﷺ للعطف عليه؛ إذ اعترف بأن الأمر بيده ﷺ لكنه مرتبط بإذن الله عز وجل؛ وذلك لتأكيد إقراره السابق بسلطة الرسول ﷺ الدينية، وإظهار حالة من الاستلاب الكامل؛ حيث يرتبط مصيره بالرسول ﷺ، وفي ذلك إدراك لعظمة الآخر. وجعل كعب عطاء الرسول ﷺ تنويلًا غير محدد؛ إشارة إلى تعدد صور عطائه ﷺ وتنوعها، وعطاء الرسول ﷺ يؤكد ذلك؛ إذ لم يكتف ﷺ بالعفو عنه، وإنما منحه بردته الشهيرة، ومن هنا أطلق على القصيدة (البردة).

وإمعانًا في تصوير هيبة الرسول ﷺ، وأثر تلك الهيبة على الشاعر وهو واقف بين يديه، لجأ كعب إلى الطبيعة الصحراوية التي خبرها يستمد منها مصدر صورته؛ لتكون أكثر إقناعًا وتمثيلًا للفكرة، ولعل هذا ما جعل الشاعر يفصل في رسم لوحة الأسد على خلاف لوحة الفيل الذي يعد حيوانًا طارئًا على الجزيرة العربية، فقال (ابن هشام، 2020، ص19):

حَتّى وَضَعتُ يَميني لا أُنازِعُه في كَفِّ ذي نَقِماتٍ قيلُهُ القيلُ

لَذاكَ أَهيَبُ عِندي إِذ أُكَلِّمُهُ وَقيلَ إِنَّكَ مَسبورٌ وَمَسؤولُ

مِن خادِرٍ، مِن لُيُوث الأُسدِ، مَسْكَنُهُ من بَطنِ عَثَّرَ، غيلٌ دونَهُ غيلُ

يَغدو فَيَلحَمُ ضِرغامَين، عَيشُهُما لَحمٌ مِنَ القَومِ مَعفورٌ خَراذيلُ

إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ لَهُ أَن يَترُكَ القِرنَ إِلّا وَهُوَ مَفلولُ

مِنهُ تَظَلُّ سِباعُ الجو ضامِزَةً وَلا تُمَشّي بِواديهِ الأَراجيلُ

وَلا يَزالُ بِوادِيهِ أَخو ثِقَةٍ مُطَرَّحُ البَزِّ وَالدَرسانِ، مَأكولُ

يتخذ الشاعر من الهيبة مقياسًا للمفاضلة بين هيبة الوقوف بين يديه ﷺ وهيبة حضور الأسد، واعترف من خلال هذه المقارنة ضمنيًا بحالة الاستلاب التي يعيشها، نتيجة هيمنة الآخر عليه، وضعفه التام عن مواجهته، وفي الوقت نفسه كشف عن إدراكه لمقام الرسول ﷺ والدين الجديد، ومحاولته للتكيف مع حقيقة ظهور الإسلام وسيطرته بدلًا من مقاومته. وتوسل كعب باللغة من جديد ليضفي على الأسد دلالات التعظيم؛ فجعل الأسد فاعلًا والآخر مفعولًا به.

صور الشاعر فاعلية الأسد من خلال اسم الفاعل تارة، واسم المفعول تارة أخرى. أما اسم الفاعل، فتمثل بتوظيفه لفظة (خادر) للدلالة على هيبة الأسد؛ فبقاء الأسد في خدره يجعل ظهوره صعب التوقع، وهذا يزيد من خوف الآخر منه، وليعظم الشاعر من هيبته، جعل خدره في بطن عثر، وفي أجمات متداخلة؛ فكلما "كان مختفيًا عن العيون كان أشد هيبة ووقعًا في النفوس" (السيوطي، 2005، 382). وبهذا فإن الشاعر صير فاعلية الأسد من فاعلية حركية إلى فاعلية ساكنة معنوية تمثلت بشجاعته وقوته. وتنسجم هذه الفاعلية مع هيبة الرسول ﷺ المتأتية من هيبة المقام وخفر المجلس، وهيبة رؤيته ﷺ، وهيبة سماع القرآن (السيوطي، 2005، ص370). وبلغت هيبة الأسد حدًّا جعلت سباع الجو الممتنعة عنه بأجنحتها، تخشاه وتهابه، وتبدو (ضامزة) ساكنة كأنها ذليلة خاضعة له. فإذا كان هذا حال سباع الجو، فما بال سباع الوحش التي هي ساكنة معه في البر!

وأما اسم المفعول، فقد تمثل بوصف الآخر الذي دلّ ضمنًا على فاعلية الأسد، وذلك من خلال قوله: (لحم معفور، القرن مفلول، أخو ثقة مطرح البزّ، مأكول). إذ يرسم الشاعر من خلال استخدام أسماء المفعول، صورة حركية بصرية وحشية للأسد تظهر استلاب الأسد للآخر، وفي الوقت نفسه تعبر عن شجاعته وقوته. فهذا الأسد أب لضرغامين، مما يزيد من شجاعته، فتأمين الطعام لضرغامين يحتاج قوة مضاعفة عن قوة تأمين الطعام لضرغام واحد. ويفترس الأسد لابنيه لحم ابن آدم الذي يستطيع الشاعر التغلب عليه رغم قدرة بني آدم على الاحتيال للدفاع عن نفسه، وهذا يجعل التغلب عليه أظهر لشجاعة الأسد؛ ولذا اختار الشاعر ابن آدم دون سائر الحيوانات. وبلغ من وحشية الأسد حدًّا عند اصطياد فريسته أن يقطعها إلى أجزاء صغيرة، ويلطخها بالتراب، وفي ذلك إظهار لهيمنة الأسد على الفريسة، وقدرته على إحكام سيطرته عليها. ولا يسلم من سطوة الأسد من يظن نفسه شجاعًا، فتغره شجاعته للمرور حيث يقيم الأسد، فيكون مصيره الموت (مطرح البز والدرسان مأكول). وصور الشاعر قوة الأسد باستخدام اسم المفعول في قوله أيضا: (يترك القرن وهو مفلول)؛ فالأسد أكثر شجاعة من أقرانه؛ إذا قاتلهم لا يترك أحدهم إلا مهزومًا، وهو (من ليوث الأسد) يشترك معهم في الشجاعة، لكنه يتفوق عليهم ويتفرد.

اتخذ كعب من صورة الأسد وسيلة للتعبير عن هيبة الرسول ﷺ، والاعتراف بهذه الهيبة، وقدرة الرسول ﷺ على استلاب الشاعر، واستطاع الشاعر بهذا الاعتراف أن يستلب عاطفة الرسول ﷺ وعقله، ويثير شفقته ويحقق غايته، فما الوصف الذي قدمه إلا إقرار منه بالسلطة الدينية الجديدة، واعتراف بالعجز، احتاج معهما إلى إعادة النظر في تعامل الآخر معه.

5. **مدح الرسول ﷺ**

ختم كعب قصيدته الاستعطافية مادحًا الرسول ﷺ والمهاجرين بقوله (ابن هشام، 2020، ص19- 20):

إِنَّ الرَسولَ لَسَيفٌ يُستَضاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِن سُيوفِ اللَهِ مَسلولُ

في عُصبَةٍ مِن قُرَيشٍ قالَ قائِلُهُم بِبَطنِ مَكَّةَ لَمّا أَسلَموا زولوا

زَالوا فَمازالَ أَنكاسٌ وَلا كُشُفٌ عِندَ اللِقاءِ وَلا ميلٌ مَعازيلُ

لا يَفرَحونَ إِذا نالَت رِماحُهُمُ قَوماً وَلَيسوا مَجازيعاً إِذا نيلوا

تنضوي الأبيات السابقة على نسقين: أولهما، ظاهر يتمثل بمدح الرسول ﷺ وصحبه من المهاجرين، وثانيهما، مضمر يتضمن اعترافًا ضمنيًا بسلطة الرسول ﷺ الدينية (من سيوف الله) المتمثلة بإبلاغ الرسالة وهداية الأمة (إن الرسول لسيف يستضاء به)، وجهاد كل من اعتدى على الإسلام (مهند من سيوف الله مسلول). وتوسل الشاعر للتعبير عن إقراره السابق بالتوكيد الذي افتتح به المدح بقوله: (إن الرسول لسيف).

وينتقل الشاعر من مدح الرسول ﷺ إلى مدح المهاجرين وتصوير قوتهم؛ لبيان سلطة الآخر وتفوقه، وعجز الأنا واستلابها. وذلك من خلال عقد مقارنة ضمنية بين حاله وحال المهاجرين التي يمكن بيانها من خلال الكشف عن صفات المهاجرين وحالهم التي وصفها الشاعر. فالمهاجرون عصبة من قريش يخضعون لعقد ديني، يؤمن لهم الاستقرار والأمان في مقابل الشاعر الذي خذله المجتمع واستلب منه الأمان. ويفترق هؤلاء المهاجرون عن الشاعر في أنهم تركوا أوطانهم، واختاروا الهجرة فرارًا بدينهم، مع ما في ذلك من مشقة، ولم يخرجوا ضعافًا من مكة، بل كانوا أقوياء وفرسان عند لقاء العدو، لا يغترون بالنصر، ولا يجزعون عند الهزيمة، في حين أن الشاعر ترك مكة إلى المدينة مجبرًا قاصدًا طلب العفو، خائفًا مطاردًا مفردًا لهفًا. وفي هذه الموازنة إدراك من الشاعر لقيمة العقد الديني الجديد الذي يمنح المنتمي إليه أمانًا واستقرارًا سعى الشاعر إلى تحقيقهما منذ بداية القصيدة.

لقد استطاع كعب من خلال استراتيجية استلاب الآخر للأنا، واستلاب الأنا للآخر، أن يظهر خوفه وعجزه وندمه وتوبته، وينجح في استعطاف الرسول ﷺ حتى أقنعه عاطفيًا وعقليًا بقبول عذره، والإغضاء عن ذنبه، فلم يوبخه، بل عفا عنه، وخلع عليه بردته.

الخاتمة

أنشأ كعب قصيدة (البردة) لإثارة شفقة الرسول ﷺ واستمالته للعفو عنه، بعد أن تخلى عنه الجميع، القبيلة والأخلاء، ووجده نفسه فردًا. وتوسل باستراتيجية الاستلاب لتحقيق غايته. وبعد القراءة التحليلية للقصيدة، تبين أن الشاعر أوجد نوعين من الاستلاب: الاستلاب الأول، استلاب الآخر للأنا: الذي أظهر به الشاعر نفسه مستلَبًا، وعاجزًا، ومفعولًا به من الآخر الذي أخضع الشاعر لسلطته. والاستلاب الثاني، استلاب الأنا للآخر، فبعد أن أدرك الشاعر سيطرة الدين الجديد على المجتمع الجاهلي، لم يجد الشاعر إلا أن يحاول استلاب الآخر، والتأثير فيه لينال العفو. وقد نجح الشاعر في ذلك ونال العفو.

وخلصت الدراسة إلى أن الاستلاب في القصيدة لم يكن استلابًا فرديًا قاصرًا على الشاعر، إنما هو استلاب جماعي، أخرج المجتمع الجاهلي من عقد اجتماعي قائم على العصبية إلى عقد ديني فرضه الدين الجديد. وبينت الدراسة أن الشاعر وظف الصورة الفنية التي استمدها من بيئته؛ لتصوير حالته النفسية المضطربة، فجعل الناقة معادلًا موضوعيًا لذاته. كما استخدم الفيل والأسد لتصوير هيبة الرسول ﷺ.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

البخاري، م. (1982). *الجامع الصحيح / صحيح البخاري*. تركيا: المكتبة الإسلامية.

بلاوي، ر. (2020). جدلية الأنا والآخر في شعر سالم أبي جهور القبيسي "دراسة صورولوجية". *مجلة جامعة القدس المفتوحة*، كانون الأول (55)، 40-51.

الجمحي، م. (1974). *طبقات فحول الشعراء*. تحقيق: محمود محمد شاكر. جدة: دار المدني.

ابن الحجاج، م. (1334). *الجامع الصحيح / صحيح مسلم*. تحقيق: محمد ذهني أفندي. تركيا: دار الطباعة العامرة.

زاوي، م. (2005). دراسة الاستلاب في الشعر الجاهلي. *مجلة الآداب*، 8(1)، 48-66.

ابن سعد، م. (1990). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. (ط1). بيروت: دار الكتب العلمية.

سعيد، ح. (2023). الثنائيات الضدية في قصيدة (بانت سعاد) لكعب بن زهير. *مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية*، 19(2)، 23-40.

السليماني، أ. (2009). *التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر*. دمشق: دار الزمان.

السيوطي، ج. (2005). *كنه المراد في بيان بانت سعاد*. دراسة وتحقيق: مصطفى عليان. (ط1). الأردن: مؤسسة الرسالة.

عمر، س. (2021). الاستلاب اللغوي.. اللغة العربية ولغة الإشهار- قراءة في بعض النماذج الإشهارية الجزائرية. *مجلة دراسات معاصرة*، 5(2)، 52-66.

الكلابي، ق. (1989). *الديوان*. تحقيق: إحسان عباس. دار الثقافة: بيروت.

المعجم العربي الأساس للناطقين بالعربية ومتعلميها. (2003). *المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم*.

ابن منظور، م. (1414). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

نصرت، ع. (1971). *الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث*. (ط1). الأردن: مكتبة الأقصى.

الهروط، ب. (2008). *صورة الآخر في أدب الرحلات الأندلسية، أطروحة دكتوراة*، جامعة مؤتة، الأردن.

ابن هشام، ج. (1955). *شرح قصيدة بانت سعاد*. دراسة وتحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل. (ط1). مصر: المكتبة الإسلامية.

References

The Holy Quran.

Al-Bukhari, M. (1982). *Al-Jami‘ al-Sahih / Sahih al-Bukhari*. The Islamic Library.

Al-Harout, B. (2008). *The image of the other in Andalusian travel literature* (Doctoral dissertation, Mutah University, Jordan).

Al-Jumahi, M. (1974). *Tabaqat fuhul al-shu‘ara’ (The classes of poetic giants)* (M. M. Shaker, Ed.). Dar Al-Madani.

Al-Kilabi, Q. (1989). *The diwan* (I. Abbas, Ed.). Dar Al-Thaqafa.

Al-Sulaymani, A. (2009). *Artistic manifestations of the relationship between the ego and the other in contemporary Arabic poetry*. Dar Al-Zaman.

Al-Suyuti, J. (2005). *Kunn al-murad fi bayan Banat Su'ad* (M. Alian, Ed.). Al-Risala Foundation.

Blawi, R. (2020). The dialectic of the ego and the other in the poetry of Salem Abu Jahour Al-Qubaisi: A study in imagery. *Al-Quds Open University Journal, 55*(December), 40–51.

Ibn Al-Hajjaj, M. (1334 AH). *Al-Jami' al-Sahih / Sahih Muslim* (M. D. Effendi, Ed.). Dar Al-Tibaa Al-Amira.

Ibn Hisham, J. (1955). *The explanation of the poem Banat Su'ad* (A. A. Al-Tawil, Ed.). The Islamic Library.

Ibn Manzur, M. (1993/1414 AH). *Lisan al-'Arab*. Dar Sader.

Ibn Sa'd, M. (1990). *Al-Tabaqat al-kubra (The major classes)* (M. A. Q. Atta, Ed.; 1st ed.). Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Nusrat, A. (1971). *The artistic image in pre-Islamic poetry in light of modern criticism* (1st ed.). Al-Aqsa Library.

Omar, S. (2021). Linguistic alienation: The Arabic language and advertising language—A reading in Algerian advertising models. *Contemporary Studies Journal, 5*(2), 52–66.

Saeed, H. (2023). Contrasting dualities in the poem *Banat Su'ad* by Ka'b bin Zuhayr. *Journal of Basic Education Research, 19*(2), 23–40.

The Basic Arabic Lexicon for Arabic Speakers and Learners. (2003). Arab League Educational, Cultural and Scientific Organization.

Zawi, M. (2005). The study of alienation in pre-Islamic poetry. *Al-Adab Journal, 8*(1), 48–66.